مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الرابع والعشرون - المجلد الثالث - علوم القرآن - تشرين أول 2024م
doi.org/10.52866/esj.2023.03.24.18

فرائد التفسير في كتاب الشريعة لمحمد بن الحسين الآجري البغدادي (ت: 360هـ)

أ. د. بشار عبد اللطيف علوان
الجامعة العراقية/ كلية التربية- قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

مستخلص:

هذا البحث يهدف الى بيان بعض الآراء السديدة في تفسير بعض الآيات القرآنية التي لم يتعرض لها أحد من أهل التفسير، والتي هي بمثابة نفائس و درر و مقتطفات في تفسير بعض الآيات القرآنية، وهذه الكنوز والمقتطفات هي أقوال أئمة متقدمين في التفسير متناثرة في غير كتب التفسير، وهذه الكتب حوت مادة تفسيرية قيمة ونفيسة، وبالمجمل فإن الهدف من هذا البحث هو إثراء علم التفسير بآراء تفسيرية جديدة.

الكلمات المفتاحية: فرائد، تفسير، الآجري.

Pearls of Interpretation in the Book of Sharia by Muhammad bin Al-Hussein Al-Ajuri Al-Baghdadi (d. 360 AH)

Prof. Dr. Bashar Abdul-Lutf Alwan
University of Iraq / College of Education
Department of Quranic Sciences and Islamic Education

Abstract :

This research aims to clarify some of the sound opinions in the interpretation of some Quranic verses that no one of the people of interpretation has addressed, which are like treasures, pearls and excerpts in the interpretation of some Quranic verses, and these treasures and excerpts are the sayings of advanced imams in interpretation scattered in books other than interpretation, and these books represent valuable and precious interpretive material, and in general, the goal of this research is to enrich the science of interpretation with new interpretive opinions.

Keywords: Pearls, Interpretation, Al-Ajuri.

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين، الذي أنزل القرآن لا ريب فيه هدىً للمتقين، وجعل معجزته حجةً باقية الى يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ و على آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فمن المعلوم أن تفسير القرآن الكريم وفهم مقاصده وبيان معانيه كان ولايزال أحد أهم العلوم التي اهتمّ بها المسلمون منذ نزول القرآن وحتى اليوم، لأنه يقوم على أساس خدمة النص القرآني وتيسير فهمه للمسلمين، وبيان معانيه.

و معرفة فرائد التفسير ضرورية جداً، لأنها تضيء معاني الآيات من زوايا جديدة، كما أنها تظهر اجتهاد العلماء وإبداعهم في خدمة النص القرآني.

وأثناء تصفحي لكتاب الشريعة للإمام محمد بن الحسين الآجري وجدته قد تناول بعض الفرائد أثناء تفسيره لبعض الآيات القرآنية، وهذه الفرائد غابت عن أعلام المفسرين، كوني راجعت بعض التفاسير ذات الشأن مثل تفسير جامع البيان للإمام الطبري وغيره فلم أجد لهذه المعاني مكاناً في تفاسيرهم فأسميتها فرائد التفسير .

ومعلوم أن هذه الفرائد هي نتاج عملي من نتاجات علم التفسير، فهي تمثل بعض المعاني الفريدة والنفيسة التي يضيفها العلماء إلى النص القرآني، وتأتي أهميتها من قدرتها على ايضاح المعاني القرآنية، كما تعد هذه الفرائد بمثابة إثراء للعلم ذاته، فهي توسع دائرته، كونها تعد جزءاً من علم التفسير.

فأحببت أن أكتب في موضوع فرائد التفسير في كتاب الشريعة لمحمد بن الحسين الآجري، وشاءت حكمة الله تعالى أن أقسم هذا البحث إلى أربعة مباحث بعد هذه المقدمة وخاتمة وعلى النحو التالي:

المبحث الأول: حياة الإمام الآجري

المبحث الثاني: تعريف فرائد التفسير لغةً واصطلاحاً

المبحث الثالث: أهمية فرائد التفسير

المبحث الرابع : نماذج من فرائد التفسير في كتاب الشريعة.

هذا هو جهدي ولا أحسب أنى استكملت جميع جوانب هذا البحث فالكمال لله وحده والنقص والقصور من طبيعة البشر. وأستغفر الله إن زلَّ قلمي في أي رأي من هذا البحث.

و آخر دعونا ان الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: حياة الإمام الآجري

- **اسمه ونسبه:**

هو الإمام الحافظ المحدث صاحب السّنة أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري[1] البغدادي[2].

- **مولده:**

ولد الإمام أبو بكر الآجري ببغداد سنة (280هـ) على الأرجح، كما يقول الإمام الذهبي[3].

---

(1) الآجري: نسبه إلى قرية من قرى بغداد يقال لها (الآجُر) بالجانب الغربي، سكنها غير واحد من أهل العلم. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: 1/ 5.

(2) ينظر: سير إعلام النبلاء: 16/ 135، طبقات الشافعية للسبكي: 3/ 149، طبقات الحفاظ للسيوطي: 1/ 397، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة: 9/ 243.

(3) ينظر: سير أعلام النبلاء: 16/ 135، الأعلام للزركلي: 6/ 97.

● **شيوخه**[1]:

1. أبو مسلم الكجي ابراهيم بن عبد الله ت (292هـ).

2. جعفر بن محمد بن الحسن ابو بكر الفريابي ت (301هـ).

3. أحمد بن عمر بن موسى القطان ت (304هـ).

4. قاسم بن زكريا المطراز البغدادي (305هـ).

5. المفضل بن حباب الجندي أبو سعيد الحافظ ت (308هـ).

6. أبو بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني ت (316هـ).

● **تلاميذه**[2]:

1- أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشر البغدادي ت (403هـ).

2- أحمد بن عبد الله الحافظ أبو نعيم الأصفهاني ت (404هـ).

3- عبد الرحمن بن عمر النحاس.

4- محمد بن الحسين بن المفضل القطان.

5- محمود بن عمر العكبري.

● **ثناء العلماء عليه:**

قال الخطيب البغدادي: (كان الآجري ثقةً، صدوقاً ديناً له تصانيف)[3].

وقال عنه ابن الجوزي: (كان ثقة، ديناً، عالماً مصنفاً)[4].

وقال عنه الإمام الذهبي: (وكان صدوقاً، خيراً، عابداً، صاحب سنة واتباع)[5].

وقال عنه ابن كثير: (كان ثقة، صادقاً، ديناً)[6].

وقال عنه السيوطي: (كان عالماً عاملاً، صاحب سنة، ديناً، ثقة)[7].

● **عقيدته:**

قال ابن خلكان: (إن أبا بكر محمد بن الحسين الآجري كان شافعي المذهب)[8]. وصرّح ابن العماد الحنبلي بأن الإمام الآجري حنبلي المذهب[9].

والأظهر والله أعلم أنه كان مجتهداً، ومن خلال تتبعي لكتاب الشريعة وجدته يحارب التعصب المذهبي وينهج منهج السلف الصالح.

● **مصنفاته:**

1. أحكام النساء..

2. أخبار عمر بن عبد العزيز.

3. أخلاق العلماء. 4. أخلاق حملة القرآن.

5. أدب النفوس. 6. الأربعين في الحديث.

7. الغرباء من المؤمنين.

8. كتاب الشريعة. 9. النصيحة.

وله العديد من الكتب والمصنفات الآخرى[10].

● **وفاته:**

توفى الإمام أبو بكر الآجري (رحمه الله) في أول يوم من المحرم سنة (360هـ) بمكة[11].

---

(1) ينظر: تاريخ بغداد: 2/ 243، سير إعلام النبلاء: 16/ 135، طبقات الشافعية للسبكي: 3/ 149، شذرات الذهب: 4/ 316.

(2) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي: 2/ 276.

(3) تاريخ بغداد: 2/ 243.

(4) صفة الصفوة: 4/ 4/ 470.

(5) سير إعلام النبلاء: 16/ 135.

(6) البداية والنهاية: 11/ 270.

(7) ينظر: شذرات الذهب: 4/ 316.

(8) طبقات الحفاظ: 1/ 397.

(9) وفيات الأعيان: 4/ 243.

(10) ينظر: سير إعلام النبلاء: 16/ 135، الأعلام: 6/ 97، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة: 243/ 9.

(11) ينظر: تاريخ بغداد: 2/ 243، سير إعلام النبلاء: 16/ 135، الأعلام: 6/ 97.

المبحث الثاني:
تعريف فرائد التفسير لغةً واصطلاحاً

● **تعريف الفرائد لغة:**

الفرائد لغة جمع فريدة، يقال: فرائد الدرر: كبارها، وأفراد النجوم: الدراري في آفاق السماء[1]. والفريدة الشذر من فضة كالؤلؤ، وفرائد الدرر: كبارها سميت به لإنفراداتها[2].

وتأتي الفرائد بمعنى الشيء النادر أو المميز الذي يتميز عن غيره بجودته وقيمته العالية[3]. والفريدة هي الجوهرة التي لا نظير لها[4]. وقال الزبيدي الفريدة: هي: (الجوهرة النفيسة)[5].

تبين لنا من خلال التعريف اللغوي أن الفرائد هي مجموعة من الأشياء النادرة والقيمة والنفيسة التي لا نظير لها ولا مثيل.

● **تعرف الفرائد اصطلاحاً:**

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للفرائد عن المعنى اللغوي بل يكاد يتفق معه كما يذكر الإمام السيوطي بأن الفرائد: هي الألفاظ التي لم ترد الا مرة واحدة في القرآن الكريم، بل هي الجواهر التي لا نظير لها، وتدل على فصاحة هذا الكلام، وقوة عارضته، وجزالة منطقه، وأصالة عربيته[6].

ويمكن القول بأن فرائد التفسير هي الأمور المهمة والنادرة في تفسير القرآن الكريم، أو هي الأفكار التي تلقي ضوءاً جديداً على التفسير في توضيح مسألة مهمة في التفسير أو استخراج معنى جديداً للآيات القرآنية لم يكن مشتهراً عن السابقين أولم ينتبهوا له.

وغالباً ما يستخدم هذا المصطلح (فرائد التفسير) لوصف التفسيرات القيمة والفريدة التي يميزها دقة الاستنباط والعمق والفهم مما يجعل التفسير أكثر وضوحاً، فحينما يكتشف مفسر معنى جديداً لآية قرآنية لم يسبق أن ذكره أحد المفسرين السابقين، أو لم يكن مشهوراً عندهم فإن هذا يعد من الفرائد.

وختاماً نستنتج مما سبق أن فرائد التفسير: كنوز وجواهر التفسير التي تستخرج من عمق القرآن الكريم أو الأفكار الجوهرية المميزة التي تعين على فهم القرآن الكريم وتفسيره بشكل أعمق وأوضح.

المبحث الثالث: أهمية فرائد التفسير

1. التعمق في فهم القرآن الكريم، حيث تتيح هذه الفرائد التفسيرية للمسلم أن يتعمق في فهم معاني القران الكريم وبيان أسراره.

2. توضح المعاني الدقيقة، فهي توضح المبهم، وتفسر المعاني الخفية، مما يعين على فهم النص القرآني بشكل أعمق.

3. توضح النقاط الخفية والمختلف فيها، فهي تبرز النقاط التي قد تكون غير واضحة أو موضع اختلاف بين المفسرين، فتساهم في تقديم تفسير جديد جامع وشامل، للآية القرآنية.

4. الاستفادة من أقوال العلماء والمفسرين البارزين في تفسيرهم الآية القرآنية الموجودة في غير كتب التفسير.

5. اثراء البحث العلمي في مجال التفسير من

(1) ينظر: الصحاح: 2/ 518، معجم اللغة العربية، د. أحمد مختار: 3/ 1688.
(2) ينظر: العين: 6/ 249، تهذيب اللغة: 14/ 70، لسان العرب: 2/ 1271.
(3) ينظر: القاموس المحيط: 1/ 350.
(4) ينظر: المصدر نفسه، الكليات: 1/ 697.
(5) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي: 8/ 486.
(6) ينظر: الأتقان في علوم القرآن: 2/ 219، معترك الأقران في إعجاز القرآن: 3/ 319.

خلال تسليط الضوء على هذه التفسيرات المميزة والرؤى الجديدة في التفسير.

المبحث الرابع:
نماذج من فرائد التفسير في كتاب الشريعة

1-سورة البقرة.

● قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]

اختلف العلماء في معنى (العلم) في هذه الآية، فذهب مقاتل إلى تفسير (العلم) في هذه الآية بأنه البيان أن دين الإسلام هو الحق والكعبة هي القبلة[2]. وذهب السمرقندي[3] والواحدي[4] إلى ذلك أيضاً.

أما الإمام الرازي فذهب إلى أن المقصود بالعلم في الآية هو نفس العلم الدلائل والآيات والمعجزات[5].

أما الإمام النسفي ففسر العلم في الآية بأنه البرهان[6]. أما ابن كثير والسعدي فقد فسرا العالم في الآية بأنه الحق[7].

ومن فرائد التفسير في هذه الآية ما ذكره الإمام محمد بن الحسين الآجري (رحمه الله) في كتاب الشرعية أن العلم في هذه الآية بمعنى: (القرآن) وبين أن علم الله هو القرآن[8].

ومما يؤيد هذه الفريدة في التفسير ما ذكره الإمام أحمد (رحمه الله) ت (855هـ) من أن القرآن هو من علم الله، لأن الله أخبر بذلك، فذكر الإمام أحمد ما يستدل به على أن علم الله في القرآن وهو قوله: فإن القرآن من علم الله، لأن الله أخبر بذلك، وهو مطابق[9] لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[10].

يقول ابن تيمية (رحمه الله): ومن المعلوم أن المراد بالذي جاءك من العلم في هذه الآية إنما هو ما جاءهُ من القرآن كما يدلّ عليه سياق الآية، فأطلق الإمام أحمد على القرآن أنه من علم الله، لأن الكلام الذي فيه علم وهو نفسه يسمى علماً[11].

● قوله تعالى:﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[12].

ومن فرائد تفسير هذه الآية مالم يذكره أحد من السابقين ولا المعاصرين في تفاسيرهم أثناء تفسيرهم لهذه الآية، وهو أن الإمام الآجري (رحمه الله) جمع بين هذه الآية: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ) وبين الحديث الشريف الذي ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع النبي ﷺ قال: ((كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ سَبَبِي وَنَسَبِي))[13].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 145.
(2) ينظر: تفسير مقاتل: 85.
(3) ينظر: بحر العلوم: 1/ 101.
(4) ينظر: التفسير الوسيط: 1/ 330.
(5) ينظر: مفاتيح الغيب: 4/ 110.
(6) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 1/ 94، محاسن التأويل: 1/ 428.
(7) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 1/ 332، تيسير الكريم الرحمن: 72.
(8) ينظر: كتاب الشريعة: 88.
(9) ينظر: الفتاوى الكبرى لأبن تيمية: 6/ 482.
(10) سورة البقرة، الآية: 145.
(11) ينظر: الفتاوى الكبرى: 6/ 482.
(12) سورة البقرة، الآية: 166.
(13) المعجم الكبير للطبراني: 3/ 45 حديث رقم (2635)، المصنف عبد الرزاق الصنعاني: 6/ 163 حديث رقم

والجمع بين هذه الآية والحديث الشريف هو أن الحديث الشريف مخصص لعموم الآية القرآنية، فظاهر الآية العموم لكن النبي ﷺ خصص ذلك العموم، فالأسباب تنقطع يوم القيامة غير نسب رسول الله ﷺ وسببه تكريماً له وتشريفاً، فهو ﷺ يشفع شفاعة خاصة لقرابته من أهل الإيمان، وهذا من تكريم الله لنبيه ﷺ، ولا تعارض بين الآية والحديث، لأن الحديث بنفسه دلَّ على ذلك.

قال الامام محمد بن الحسين الآجري في باب ذكر قوله تعالى: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ) ما نصه: (ومن فضائل أهل بيت رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة: أن كل سبب ونسب يوم القيامة منقطع إلا نسب رسول الله ﷺ وسببه وصهره)[1].

ثم عقب الإمام محمد بن الحسين الآجري بعد ذكر هذا الحديث بقوله: لما سمع عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) بهذا الحديث من رسول الله ﷺ خطب الى علي بن أبي طالب ﷺ ابنته أم كلثوم (رضي الله عنها)، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهي صبية صغيرة، فقال له علي ﷺ: يقول: فإني حبستها على ابن أخي جعفر (رضي الله عنهم)، وهي صبية فبعث إليه عمر وإن كانت صغيرة[2]، فإني سمعت رسول الله ﷺ: ((كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ سَبَبِي وَنَسَبِي))[3]،فلذلك رغبت فيها فزوجه إياها رضي الله عنهم أجمعين[4].

وفي رواية أخرى أن عمر رضي الله عنه قال: ((فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ نسباً)[5].

2- سورة النساء.

● قال تعالى:﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[6].

ذكر أهل التفسير عدة أقوال في معنى قوله تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ). فمنهم من قال: (يُشَاقِقِ) بمعنى يخالف[7]. وزاد بعضهم أن معنى (يُشَاقِقِ) أي: (يخالفه في التوحيد)[8].

وذهب الإمام الطبري إلى القول بأن معنى (يُشَاقِقِ) أي: يعادي ويباين[9]. أما ابن كثير ففسر قوله: (يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ) أي: سلك غير طريق الشريعة[10].

و من فرائد التفسير في هذه الآية ما ذكره الإمام محمد بن الحسين الآجري (رحمه الله) ما نصه: (فكل من ردَّ سنن رسول الله ﷺ و سنن أصحابه فهو ممن شاق الرسول وعصاه، وعصى الله تعالى بتركه قبول السنن)[11].

فكل من رَدَّ سّنة رسول الله ﷺ وسنن الصحابة ﷺ زاغ عن الحق وخرج عن جملة أهل الإيمان، لأنه اتبع غير سبيلهم، ومعلوم أن كل من يخرج عن السنة النبوية وسنن الصحابة (رضي الله عنهم) فإنه يتبع الفرق الضالة التي لا تمثل الإسلام، ويبدو

(10345)، وصححه الالباني في صحيح الجامع: 2/ 832 حديث رقم (4527).

(1) كتاب الشريعة: 813.

(2) ينظر: المصدر نفسه.

(3) صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الالباني: 2/ 838.

(4) ينظر: كتاب الشريعة: 414.

(5) المصدر نفسه.

(6) سورة النساء، الآية: 115.

(7) تفسير مقاتل: 257، معالم التنزيل للبغوي: 1/ 703.

(8) بحر العلوم للسمر قندي: 1/ 363، زاد المسير لأبن الجوزي: 1/ 471.

(9) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: 9/ 204.

(10) تفسير القرآن العظيم: 2/ 412.

(11) كتاب الشريعة: 350.

للباحث أن هذا التفسير هو من روائع الاعجاز القرآني في هذه الآية، لأنه ينطبق على واقعنا اليوم، وما أكثر الذين يخالفون سّنة النبي ﷺ وسنن أصحابه في أغلب السنن وغيرها في واقعنا المعاصر.

فالإمام الآجري (رحمه الله): من خلال هذا القول الفريد في التفسير ربط بين سّنة رسول الله ﷺ وسنن الخلفاء الراشدين، ويعزز هذا المعنى قوله ﷺ: ((أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبدٌ؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعةٍ ضلالةٌ))[1].

وهذا الأمر دال على الوجوب، فكما أن اتباع سنة الرسول ﷺ واجبة، فكذلك اتباع سنن الخلفاء الراشدين، لأن هؤلاء الصحابة (رضي الله عنهم) نقلوا إلينا القول والفعل والتقرير، ولم يقتصر الرسول ﷺ على قوله: ((فعليكم بسنتي)) وهي كلمة كافية فعلاً، ولكنه عطف عليها، لأن عدم اتباع سنتهم أمر في غاية الخطورة، فعطف ﷺ اتباع سّنة الخلفاء الراشدين على اتباع سنته، وهذا يقتضي المشاركة في الحكم، لأننا جميعاً تلقينا الإسلام بواسطة السلف الصالح، ولم نعرف القرآن إلا من طريقهم، ولم نعرف السنة إلا من طريقهم، فمن أتبع سبيلهم فهو الناجي عند الله يوم القيامة، ومن خالف سبيلهم فإن له نار جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً.

و مما يؤيد هذه الفريدة في التفسير أيضاً ما روي عن عمر بن عبد العزيز انه قال: سَنَّ رَسُولُ الله ﷺ لَوُلَاةُ الأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا، الأَخْذُ بِهَا اعْتِصَامٌ بِكِتَابِ الله، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ الله، لَيْسَ لأَحَدٍ تَبْدِيلُهَا، وَلَا تَغْيِيرُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي أَمْرٍ من خَالَفَهَا، مَنِ اهْتَدَى بِهَا، فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَن تَرَكَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مَصِيراً[2]. وهذا الكلام يتطابق تماماً مع الآية القرآنية ومعانيها والله أعلم.

والذي يتأمل الواقع المعاصر اليوم يجد أن هذا هو منشؤُ ضلال طوائف كثيرة جداً في ماضي الأيام وحاضرها، ممن لم يلتزم باتباع سبيل المؤمنين، وإنما ركبوا عقولهم واتبعوا أهواءهم، وأعجبتهم أنفسهم فوقعوا في أخطر العواقب.

فكأن هذا العقاب الأليم الذي تضمنته نهاية الآية الكريمة جزاءً وفاقاً على خروجهم على ما كان عليه سلف الأمة وخيارها.

3- **الاعراف**.

● قال تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

ذكر أهل التفسير عدة أقوال في معنى قوله تعالى: (أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ) فالإمام الطبري قال: (ٱلْخَلْقُ) الخلق كله، (وَٱلْأَمْرُ) الذي لا يخالف ولا يردّ أمره[4]، أما ابن أبي حاتم فقد فسّر (ٱلْخَلْقُ) ما دون العرش، (وَٱلْأَمْرُ) ما فوق ذلك[5]. وذهب الكرماني الى أن (ٱلْخَلْقُ) هو الخلق كله، (وَٱلْأَمْرُ) النافذ[6].

(1) مسند الإمام أحمد: 28/ 375 حديث رقم (17145).

(2) ينظر: أعلام الموقعين، عن رب العالمين لأبن القيم: 4/ 116، اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: 1/ 159.

(3) شورة الأعراف، الآية: 54.

(4) ينظر: جامع البيان: 12/ 483.

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 5/ 1498.

(6) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني: 1/

وزاد الإمام البغوي على معنى (وَٱلۡأَمۡرُ) بقوله: (يأمر في خلقه ما يشاء)[1]، أما ابن كثير فإنه فسّر (ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ) بأنه: (الملك والتصرف)[2].

و من فرائد التفسير التي ذكرها الإمام الآجري (رحمه الله) في معنى (ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ). ولم يتنبه لها أغلب أهل التفسير أنه قال ما نصه: (فالخلق: خلق الله تبارك وتعالى، والامر: القرآن)[3] فقد فسّر (وَٱلۡأَمۡرُۗ) في هذه الآية بأنه القرآن الكريم.

وما يؤيد هذا التفسير ما ذكره الإمام سفيان بن عيينه الهلالي الحافظ الثقة الحجة، قال أبو عثمان الواسطي يقول: ما يقول هذا الدويبة؟ يعني: بشراً المريسي ؟ قالوا: يا أبا محمد بزعم أن القرآن مخلوق، فقال: كذب، قال الله تعالى: (أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ) فالخلق: خلق الله، والأمر: القرآن[4].

4- سورة مريم.

● وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[5].

من فرائد التفسير في هذه الآية القرآنية أن الإمام محمد بن الحسين الآجري (رحمه الله) نقل نصاً فريداً في تفسير هذه الآية لم يذكره أي كتاب من كتب التفسير لا السابقة ولا المعاصرة.

وقد أورد لنا الإمام الآجري في كتابه الشريعة أثراً عن محمد بن الحنفية أنه قال في تفسير هذه الآية: (لا تلقى مؤمناً إلا وفي قلبه ودٌ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ولأهل بيته)[6].

ثم عقب الإمام محمد بن الحسين الآجري (رحمه الله) بقوله: (يعني من صفة المؤمنين العقلاء الذين قد أريد بهم خير، صحة المودّة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ولأهل بيت رسول الله ﷺ دلَ على ذلك القرآن والسنة)[7].

و ما ذكره محمد بن الحنفية في تفسير هذه الآية، ونقله الإمام الآجري في كتابة، لم يورده أهل التفاسير قاطبةً، بل هو من نفائس ودرر التفسير، وما أعجبني أن شيخ المفسرين الإمام محمد بن جرير الطبري لم يذكر هذا القول نهائياً ولم يتطرق إليه في كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القران)، لذا يمكنني القول أن هذا الأثر هو من الأقوال النادرة والفريدة في غير كتب التفسير.

5- سورة الشعراء.

● قال تعالى:﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[8].

ذكر أهل التفسير عدة أقوال في معنى قوله تعالى: (وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ) منها: المصلين[9]. ومنها أن معنى الآية: ويرى ركوعك وسجودك وقيامك فهذا هو التقلب[10].

أما شيخ المفسرين الإمام الطبري فقد فسّر معنى هذه الآية في قولين: الأول بمعنى: ويرى تقلبك في صلاتك، قيامك، وركوعك وسجودك، والثاني بمعنى: يرى تقلبك في المصلين وإبصارك منهم من هو خلفك، كما تبصر من هو بين يديك

407.

(1) معالم التنزيل: 2/ 198.

(2) تفسير القرآن العظيم: 3/ 383.

(3) كتاب الشريعة: 87.

(4) ينظر: الرد على الجهمية والزنادقة، أحمد بن حنبل: 110، المختار في أصول السنة، الحسن بن أحمد الحنبلي: 65، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: 1/ 244.

(5) سورة مريم الآية: 96.

(6) كتاب الشريعة: 599.

(7) المصدر نفسه.

(8) سورة الشعراء، الآية: 219.

(9) تفسير مجاهد: 1/ 514، تفسير عبد الرزاق: 2/ 458.

(10) ينظر: الكشاف: 3/ 341، تيسير الكريم الرحمن للسعدي: 599.

منهم[1].

ومن فرائد التفسير في هذه الآية ما أورده الإمام محمد بن الحسن الآجري (رحمه الله) في كتابه الشريعة في باب ذكر قوله الله عز وجل: (وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ) ما نصه: قال محمد بن الحسين الآجرى: (اعلموا رحمنا الله واياكم، أن النكاح كان في الجاهلية على أنواع غير محمودة، إلا نكاحاً واحداً، نكاح صحيح، وهو النكاح الذي سّنه رسول الله ﷺ لأمته، يخطب الرجل إلى الرجل وليته، فيزوجه على الصداق و بالشهود، فرفع الله عز وجل قدر نبينا ﷺ، وصانه من نكاح الجاهلية، ونقله في الأصلاب الطاهرات بالنكاح الصحيح، من لدن آدم عليه السلام، ينقله من أصلاب الأنبياء، وأولاد الأنبياء، حتى أخرجه بالنكاح الصحيح ﷺ)[2].

وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((خرجتُ من نكاحٍ ولم أخرجْ من سفاحٍ من لدن آدمَ إلى أن ولدَني أبي وأمي لم يصبْني من سفاحِ الجاهليةِ شيءٌ))[3].

وهذا القول نادر في التفسير لم يذكره أحد من أهل التفاسير ممن سبق الإمام الآجري إلا تفسير ابن أبي حاتم فقط، وهذا الأثر في التفسير نادر جداً في كتب التفاسير السابقة، بل هو مما فات شيخ المفسرين الإمام الطبري، ولم يذكره في تفسيره نهائياً في أثناء تفسير لهذه الآية وهذا ما أثار عندي الاستغراب – والتساؤل !!!. فقد نقل ابن أبي حاتم في تفسيره أثراً عن أبن عباس رضى الله عنهما في قوله عز وجل: (وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ) فقال: (ما زال رسول الله ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه)[4] علماً ان ابن أبي حاتم ذكره مع ثلاثة أقوال أخرى ولم يرجح بينهما.

(1) ينظر: جامع البيان: 19/ 412، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 6/ 154.
(2) كتاب الشريعة: 433.
(3) السنن الكبرى للبيهقي، باب النكاح أهل الشرك وطلاقهم: 7/ 308 حديث رقم (14077)، وحسنه الالباني في صحيح الجامع: 1/ 613 حديث رقم (3225).
(4) تفسير القرآن العظيم: 9/ 2828.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة المباركة مع فرائد التفسير في كتاب الشريعة للإمام الآجري توصلت الى النتائج الآتية:

1. تبين لي أن فرائد التفسير هي كنوز و جواهر تستخرج من عمق القرآن الكريم، والتي تعين على فهم القرآن الكريم.
2. أن فرائد التفسير هي نتاج عميق من نتاجات علم التفسير.
3. تكشف لنا فرائد التفسير معنىً جديداً للآيات القرآنية قد لا يكون موجوداً في كتب التفاسير.
4. تعكس لنا فرائد التفسير أهم آراء و أقوال العلماء في تفسيرهم للآيات القرآنية في غير كتب التفسير، وتقدم رؤى جديدة في فهم القرآن.
5. أن فرائد التفسير تعد أداة مهمة للباحثين والدارسين في توضيح المعاني الخفية والمختلف فيها عند المفسرين.
6. أن هذه الفرائد لها أثر كبير في إثراء البحث العلمي في مجال التفسير.

المصادر:

1. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م.
2. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين- بيروت، ط8، 1980م.
3. بحر العلوم، السمرقندي، المحقق: أحمد عبد الله عبد الكريم، دار الكتب العلمية، ط1، 1992.
4. البداية والنهاية، ابن كثير، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1988م.
5. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، المحقق: عبد الحليم قنبر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-الكويت، ط1، 1965م.
6. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001م.
7. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1995م.
8. التفسير الوسيط، بن جرير الطبري، دار المعرفة، ط4، 1984م.
9. تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1423هـ.
10. تهذيب اللغة، الأزهري، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط1، 1964م.
11. تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
12. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، المحقق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط9، 2003م.
13. شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، المحقق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، 1986م.
14. الشريعة - الآجري، محمد بن الحسين الآجري، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط2، 1420هـ- 1999م.
15. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط5، 1990م.
16. صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط1، 1988م.
17. صفة الصفوة، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، ط2، 1992م.
18. طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد عبد الرحمن حافظ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط3، 1984م.
19. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط1، 1992م.
20. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: مهدي المخزومي، دار الكتب العلمية، ط2، 1985م.
21. الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن القاسم، دار المعرفة، ط4، 1987م.
22. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، المحقق: محمد ناظم الطيب، مؤسسة الرسالة، ط4، 2002م.
23. الكليات، أبو البقاء الكفوي، المحقق: عدنان

درويش، دار الفكر، ط2، 1987م.
24. لسان العرب، ابن منظور، المحقق: علي داود عبد الرازق، دار المعارف، ط3، 1990م.
25. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1986م.
26. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، المحقق: عبد القادر عطا، دار الفكر، ط2، 1992م.
27. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.
28. المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي- بيروت، ط2، 1983م.
29. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1990م.
30. معجم البلدان، ياقوت الحموي، المحقق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الفكر، ط5، 1993م.
31. المعجم الكبير، الطبراني، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2.
32. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، عالم الكتب، ط1، 2008م.
33. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى- بيروت، ط1، 1957م.
34. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ، دار إحياء التراث العربي، ط2، 2001م.
35. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، المحقق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، ط3، 2000م.
36. وفيات الأعيان، ابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط4، 1994م.